

اجتهادات إعادة نظر فى الليبرالية

لم يعد للأحزاب الليبرالية موقع متقدم سواء فى الدول الأوروبية وغيرها من البلدان الغربية، أو فى غيرها. صارت هذه الأحزاب فى مؤخرة المشهد وفق ما تدل عليه نتائج الانتخابات العامة والمحلية 0 حدث هذا التراجع تدريجيا على مدى عقود. وبلغ ذروته فى السنوات الأخيرة.

التفسير الشائع لهذا التراجع يعيده إلى صعود أحزاب وحركات قومية متطرفة وشعبوية فى كثير من الدول الغربية 0 غير أن هذا تبرير وليس تفسيراً .

تبرير لا يخلو من مغالطات أهمها أن تراجع الأحزاب الليبرالية بدأ قبل أن يصبح صعود أحزاب وحركات قومية متطرفة وشعبوية ظاهرة آخذة فى التوسع.

كما أن الأصوات الانتخابية التى تفقدها الأحزاب الليبرالية لا تذهب كلها إلى الأحزاب والحركات التى صارت «شماعة» تعلق عليها أزمة الليبرالية.

ولنتأمل مثلاً نتائج الانتخابات الأخيرة فى ولاية بافاريا الألمانية، والتى تُعد الأكثر أهمية فى هذه الدولة بعد الانتخابات العامة على المستوى الفيدرالى.

فقد حصل الحزب الليبرالى على 5% فقط من أصوات الناخبين فيها، وحل فى المرتبة قبل الأخيرة.

لكن الأصوات التى فقدوها لم يذهب معظمها إلى القوميين المتطرفين (حزب البديل من أجل ألمانيا) الذى حصل على 11% من الأصوات، بل إلى حزب الخضر الذى نال 18.5%، وحزب الناخبين الأحرار الذى حصل على 11.5%.

ويتبنى حزب الخضر سياسات ذات طابع ليبرالى فى معظمها. ولا تخلو مواقف الناخبين الأحرار من بعض التوجهات الليبرالية، ويبدو أنصاره خليطاً من المحافظين والليبراليين. وربما يعنى ذلك أن أزمة الليبراليين أقوى من أزمة الليبرالية نفسها.

ولذلك قد يكون على الليبراليين أن يُعيدوا النظر فى تكتيكاتهم السياسية بالأساس، ويراجعوا برامجهم الانتخابية أيضاً، سعياً إلى التحالف مع آخرين.

يبدو الخضر الأقرب إلى الحزب الليبرالى فى ألمانيا. لكن صعودهم غير المسبوق يدفعهم إلى الاستغناء عن التحالف مع الحزب الليبرالى الذى يبقى أمامه خياران للخروج من أزمتة المتزايدة.

فإما أن يتجه نحو اليمين بدرجة ما ليستطيع التحالف مستقبلاً مع حزب الناخبين الأحرار، أو بأخذ خطوة صغيرة إلى اليسار لإيجاد أرضية مشتركة مع الحزب الديمقراطى الاشتراكى الذى يتراجع مثله إلى الوراء.